

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١):

قيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحداً لا يشتهي النسب؟

فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا!

والنسبُ والتغزُّلُ والتشبيبُ كلها بمعنى واحد.

قيل: الغزل هو إلفُ النساءِ والتخلُّقُ بها يوافقهن، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ. وقد نبه على ذلك (قُدامة) وأوضحه في كتابه «نقد الشعر».

وقال الحاتمي: من حكم النسب الذي يفتح به الشاعر كلامه، أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلًا به غير منفصل منه؛ فإن القصيدة مثلها مثلُ خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر وبيانه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتُعفي معالم جماله.

ياليل الصب متى غده؟^(٢):

(١) في العمدة: لابن رشيق (٢/٩٤).

(٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٤٣٢).

من نوادر الطرائف ما ذكره (ابن بشكوال) في كتاب الصلوة، كما ذكره الحميدي أيضًا، وهو: كان أبو الحسن علي الحصري القيرواني، ابن خالة أبي إسحاق صاحب «زهر الآداب» حافظًا فاقها، وأديبًا عالمًا بالقراءات وطرقها.

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في (سبته) وغيرها، وله قصيدة نظمها في قراءات نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة، وله ديوان شعر. ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة التي أولها:

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن عيد الكناني أبو الفضائل المعروف بالقمراوي رحمه الله بأبيات من جملتها:

قدم مل مريضك عوده	ورثا لأسيرك حسده
لم يُبقِ جفناك سوى نفسٍ	زفرات الشوق تصعده
هاروت يُعنعن في السح	ر إلى عينيك ويُستده
وإذا أغمدت اللحظ فتك	ت فكيف وأنت تُجرده
كم سهل خدك وجه رضا	والحاجسبُ منك يُعقده
ما أشرك فيك القلب فكم	في نار الهجر يُجلده

أما قصيدة أبي الحسن علي الحصري القيرواني فهي:

ياليل الصب متى غده	أقيام الساعة موعده
رقد السهاز فارقه	أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له	مما يرعاه ويرصده
كلف بغزال ذي هيف	خوف الواشين يُشرده

في النسيم فتسوزت سيميد
 للسرب سبباني أغيد
 أهواه ولا أتعبده
 سكران اللحظ مُعريده
 وكان نُعائًا يغمد
 والويل لمن يتقلده
 عيناه ولم تقتل يده
 وعلى خديسه تورده
 فعلام جفونك تجحده
 وأظنك لا تتعمده
 فلعل خيالك يسعده
 صببٌ يُدنيك وتبعده
 فلييك عليه عوده
 هل من نظير يتزوده
 بالدمع يفيض مورده
 وصروف السدر تبعده
 لولا الأيام تُنكده
 لفؤادي كيف تجلده
 غيري بالباطل يُفسده

نعبت عيناى له شركا
 وكفى عجبًا أنى قنص
 صنم للفتنة مُتصب
 صاح والخمرُ جنى فمه
 ينضو من مقلته سيفًا
 فيرى دم العُشاقِ به
 كلالا ذنب لمن قتلت
 يا من جحدت عيناه دمي
 خدك قد اعترف با بدمي
 إني لأعيذك من قتلي
 بالله هب المشتاق كرى
 ما ضرك لو داويت ضني
 لم يُسق هواك له رمقًا
 وغداً يقضى أو يعد غد
 يا أهل الشوق لنا شرق
 سوى المشتاق لقاءكم
 ما أحلى الوصل وأعذبه
 بالبين وبالهجران فيا
 الحب أعف ذويه أنا

استحسان وضاءة الوجه^(١):

كان لعز الدولة غلام ذكي وضيء الوجه، ولفرط ميله إليه جعله رئيس سرية جردت للحرب، ولم يستحسن المهلبي ذلك منه، فكتب إليه:

ظبي يبرق الماء في	وجناته وبروق عوده
ناطوا بمعقد خصره	سيفاً ومنطقة تـؤوده
جعلوه قائد عسكر	ضاع الرعيل ومن يقوده

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهلبي!

وفي «خزانة الأدب» للبغدادي ج ٣:

الجارية: جميلة من بعيد، ملحية من قريب، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة، فإذا دنت منك لم تكن كذلك، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حُسناً.

وقيل: الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشحم. والمليحة: هي البيضاء، والصبيحة كذلك، من الصبح لبياضه.

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حُسْنُ الوجه مَالٌ».

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه».

(١) في نفع الطيب.

وقال ابن عمر: قال، صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة تجاور البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن».

ونظمها الشاعر فقال:

ثلاثة يذهب للمرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

كواكب لا كواعب:

كان عبد العزيز بن سرايا، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق، وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطع، وأتى بما أحجل زهر النجوم في السماء، كما قد أزرى بزهر الأرض في الربيع، تطربك ألفاظه المصقولة، ومعانيه المعسولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة.

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧هـ، ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبى التي أولها: «بأبي الشموس الجانحات غواربا» وفيها يقول:

فتركن حبات القلوب ذواتبا	أسبلن من فوق النهود ذواتبا
غادرن فود الليل منها شائبا	وجلون من صبح الوجوه أشعة
ولو استبان الرشد قال كواكبا	بيض دعاهن الغبي كواعبا
أسبلن من ظلم الشعور غياها	سففهن رأي المانوية عندما
شدهت بصيرته وقلبا غائبا	وسفرن لي فرأين شخصا حاضرا
شفق تدرعه الشموس جلابيا	أشرقن في حليل كأن أديمها

وغرين في كللٍ فقلتُ لصاحبي:
 ومُعربد اللحظات يشي عطفه
 حلو التعتب والدلال يروعه
 عاتبته فتضرجت وجناته
 فأراني الخد الكليم فطرفه
 ذو منظرٍ تغدو القلوب بحسنه
 لا غرو إن وهب اللواحظ حظوةً
 (بأبي الشموس الجانحات غواربا)
 فيخالُ من فرح الشيبية شاربا
 عتبي ولست أراه إلا عاتبنا
 وازور الحاظلاً وقطب حاجبا
 ذو النون إذ ذهب الغداة مغاضبا
 نهباً وإن منح العيون مواهبنا
 من نوره وغدا لقلبي ناهبا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١):

أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها:

كريمةٌ أخوالها والعصبه
 كأنها حقة مسكٍ مذهبه
 كأنها حليةٌ سيفٍ مذهبه
 ثم انثنت به فوق الرقية
 قباء ذات مُرة مُتعبسة
 ممكورةٌ الأعلى رداح الحجبه
 أهوى لها شيخٌ شديد العصبه
 فأعلنت بصوتها: أن يا أبة
 (كـل فتاة بأبيها معجبة)

(١) في خزنة الأدب ج١: أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها...

أصل بليتي من قد غزاني^(١):

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس، ما يدعو إلى الحكمة في غزله، وقد عاش نحوًا من سبعين عامًا، كما تولى ديوان الإنشاء للفاتر مع الموفق بن الخلال، ومن مداعبته:

حيًا بتفاحة مخضبة من شفني حبه وتيمني
فقلت: ما إن رأيت مُشبهها فاحمر من خجلة فكذبني

وقال أيضًا:

وأصل بليتي من قد غزاني من السقم الملح بعسكرين
طيب طبه كغراب بين يُفترق بين عافيتي وبينني
أتى الحمى وقد شاخت وباخت فعاد لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبير لطيف حكاها عن سنانٍ أو حنين
فكانت نوبةً في كل يوم فصيرها بحذقٍ نوبتين

وقال أيضًا:

يا وارثًا عن أبٍ وجدُّ فضيلة الطب والسداد
وحاملًا رد كل نفسٍ همت عن الجسم باليعباد
أقسيمٌ لو قد طببت دهرًا لعاد كوثًا بلا فساد

وقال من جناس بديع:

(١) في فوات الوفيات.

مرهفاتِ جفونهن جفونُ
وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

رُبَّ بيضٍ سللن باللحظ بيضا
وحدودٍ للدمع فيها حدودُ

وقال أيضًا:

شدُّ في حبه الخليعُ العذار
وبذات الخمار أهو نهاري
والجواري إلى جواري جواري

حبذا مُتعة الشباب يُعْـ
إذ بذات الخمار أمتع ليلى
والغواني لا عن وصالِ غواني

تشيب عمر بن أبي ربيعة:

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر، مديدة الجسم، مكتنزة اللحم، على جانب وافرٍ من الجمال، حسنة الصورة، وفي خُلُقها أنفة وعزة وصرامة، حتى أن أبا هريرة رآها يومًا فسبح وقال: كأنها من الحور.

وقد روى أبو الحسن المدائني، عن عمر وأبي طارق بن المبارك، أن عمر بن أبي ربيعة قال يشب بعائشة ابنة طلحة:

مقصداً يوم فارق الظاعينا
دمعها في الرداء سحاً سنينا
برحيل ولم تخف أن تبينا
لوتواتين عاشقاً محزوننا
من جهازاً ولم يخف أن يمينا
ضوء وجه يضيء لناظرينا
ومها بهج المناظر عينا

أصبح القلبُ في الحبال رهيناً
لم يرُ عنسي إلا الفتاة وإلا
عجلت حمة الفراق علينا
أنت أهوى العباد قريباً ووداً
قاده الطرف يوم مر إلى الحي
وجلاً يرد بركة جندي
فإذا ظيية تراعي نعاجا

قلتُ: من أنتم؟ فصَدَّتْ وقالت:
 قلتُ: بالله ذي الجلالة لما
 أي من تجمع المواسم أنتم
 نحن من ساكني العراق وكنا
 قد صدقتك أن سألت فمن أن
 قد نرى أننا عرفناك بالنعـ
 بسواد الثنيتين وثغـير

أُمِّدْ سؤالك العالمينا؟
 إذ تلبت الفؤاد أن تصدقينا
 فأبيني لنا ولا تكذبينا
 قبلها قاطنين مكة حيننا
 ست عسى أن يجر شأن شئونا
 ست نظن وما قتلنا يقينا
 قد نراه لناظرٍ مُستيينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط.

وأبنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت: يا أمير المؤمنين، مُرِّي بأعوان، فصير إليها قومًا يكونون معها، فحجت ومعهما ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل.

صُبِحُ المشيب يدل على ليل الشباب^(١):

قال الأمير أسامة بن منقذ:

قالوا نهاه الأربعون عن الصبا
 كم حار في ليل الشباب فدلـه
 وإذا عددت سني ثم نقصتها

وأخو المشيب يجور ثمت يهتدي
 صُبِحُ المشيب على الطريق الأقصـد
 زمن الهموم فتلك ساعة مولدي

(١) في خلاصة الأثر (٣/٢٦).

الشاعر الغزال^(١):

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني، وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني، وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني، وسرَّ به سرورًا عظيمًا، ونال من لدنه وُدًّا وتكريمًا، حتى إنه مال إليه، وقربه لديه، فطلب منه منادمته، إلا أنه امتنع لما أدرك جلية الأمر معتذرًا بتحريم الخمر.

فلما أن كان يومًا جالسًا عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها، ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسنًا وضياءً، فما لبث الغزال لا يميل طرفه عنها شغفًا بياهر ما استرعاها منها، وجعل الملك يحدثه وهو لا يعب عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرّفه أي قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أر قط مثلها. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنها شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك لملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال، كما سرت الملكة بوصفه لها.

(١) في نفع الطيب (١/٤٥١).

غزالٌ قد غزا قلبي^(١):

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال - وشهرة اسمه (غزالٌ) - أرسل إلى بلاد المجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وخطه الشيب، ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك - واسمها (تودٌ) - عن سنه، فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم تري قط مُهراً يتجُّ وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتُ يَا قَلْبِي هَوَى مُتَعَبًا	غالبت منه الضيغم الأغلبا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِمَجُوسِيَّةٍ	تأبى لشمس الحُسن أن تغربا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يلفى إليه ذاهب مذهبا
يَا نُوْدُ يَا رُودَ الشَّبَابِ الَّذِي	تطلع من أزرارها الكوكبا
يَا بَأبِي الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أحلى على قلبي ولا أعذبا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنْ عَيْنِي رَأَتْ	مُشْبِهَهُ لَمْ أَعِدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (فُودِيَه) قَدْ نَوْرًا	دُعَابَةً تُوجِسُّ أَنْ أَدْعِبَا
قُلْتُ لَهَا: مَا بِالْهُ إِنْ سَه	قَدْ يُنْتِجُ الْمَهْرُ كَذَا أَشْهَبَا
فَاسْتَضْحَكَتْ عُجْبًا بِقَوْلِي لَهَا	وَإِنَّمَا قُلْتُ لَكِي تُعْجِبَا

قال: ولما فهَّمها الترجمان شعر (غزال) ضحكت، وأمرته بالخضاب، فغدا عليها وقد اختضب وقال:

(١) في نفع الطيب (١/٤٥٠).

بكرت تُحسِنُ لي سواد خضابي
 ما الشيبُ عندي والخضابُ لو اصفِ
 تخفي قليلاً ثم يُقشعها الصبا
 لا تنكري وضح المشيب فلإنما
 فلدي ما تهوين من زهو الصبا
 فكأن ذاك أعادني لشبابي
 إلا كشمسٍ جُللتُ بضباب
 فيصيرُ ما سترت به لذهاب
 هو زهرة الأفهام والألباب
 وطلاوة الأخلاق والآداب

غرام أم جنون:

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف محبوبته، ولم يعين لها اسماً حتى لا يُشهر بها في التشبيب، ولكيلا يعرفها عند العام إلا لمن لمس ودادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير سحرًا حلالًا، وكان عفيفًا في دقة نظمه، وصفاء تعبيره، فقال:

تمكن مني السقمُ حتى كأنني
 ولو ساحت عيناه عيني في الكرى
 سمحت بروحي وهي عندي عزيزةٌ
 وقد خفتُ أن تقضي عليّ منيتي
 وهون ما ألقى من الوجد أنه
 فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالة
 توهم معنَى في خفي سؤال
 لأشكل من طيف الخيال خيالي
 وجُدتُ بقلبي وهو عندي غالي
 ولم أقض أوطاري بيوم وصالٍ
 صدود دلالٍ لا صدود ملالٍ
 شددتُ عن الدنيا مطي رحالي

ثم ما لبث أن استرسل في مواجيدته، واستلهم مشاعر أناشيده، فقال:

ما بال قلبك يستبين
 برح الخفاء بما تجمن
 أبو غرام أم جنون
 فأذهب الشك اليقين

حتى مشى بين الجوا
 وإلى متى قلبُ المتـ
 شخصت له فيك العيو
 وسلبت ألباب الورى
 وقوامُ أغصان الريا
 الحسنُ في الأغصان فن
 من أين للأغصان ذا
 أم ذلك الورد الجنى

نح والضلوع هوى دفين
 سيم في يد البلوى رهين
 ن وقُسمت فيك الظنون
 بلوا حظٍ فيها فتون
 ض وأين تدركك الغصون
 وهو في هذا فنون
 لك الحسنُ والسحرُ المبين؟
 بخسده والياسمين؟

سلعوس وسلعسة^(١):

قال إبراهيم بن المهدي: كنت يوماً بحضرة المأمون، فقالت لي (عريب) -
 على سبيل العبث-: يا سلعوس، فقلت:
 أما لعريب أن ترى غير سلعسه فكوني كما أنت تكوني كمؤنسه
 فقال المأمون على الفور:
 فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شكُّ أن ذلك وسوسه
 قال إبراهيم: فعجبت من فطنة المأمون. وقلت: كذا -والله- يا أمير
 المؤمنين قدرت، وإياه أردت!

(١) في إرشاد الأديب (١/١٦٣).

عاتكة بنت معاوية:

حدثني الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: حدثنا صالح بن حسان قال: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن السري قال: حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد -واللفظ لصالح بن حسان، وخبره أتم- قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طوى، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، وإذا أمرت جواربها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها، عليها شُفوفٌ لها، تنظر إلى الطريق، إذ مرَّ بها أبو دهب الجمحي وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا، فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها، وهي غافلة عنه، فلما فطنت له سترت وجهها، وأمرت بطرح الستر، وشتمته، فقال أبو دهب:

إني دعاني الحين فاقتادني	حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه إذ سبني مُدبرًا	مُستترًا عنسي بجلباب
سبحان من أوقعها حصرة	صُبت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها	أب لها ليس بوهاب
أحلهما قصرًا منيع الذرى	يُحمى بأبوابٍ وحُجاب

وقال أيضًا:

طال ليلى وبث كالمحزون	ومللت الثواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى	ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل	كبكاء القرين إثر القرين

وإحدى مميزات من جوهر مكنون
 في سناء من المكارم دون
 راء تمشي في مرمير مسنون
 عند برد الشتاء في قيطون
 ب وإن كنتُ خارجًا عن يميني
 وتقلبت ليلى في فنون
 أم براني الباري قصير الجفون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغد
 وإذا ما نسبتها لم تجدها
 ثم خاصرتها إلى القبة الخض
 قبة من مراجلٍ ضربوها
 عن يساري إذا دخلت من الباء
 ولقد قلتُ إذ تناول سُقمي
 ليت شعري أمن هوى طار نومي

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح:

قال ابن بسام^(١): كان المعتصم بن صمادح يومًا مع ندمائه، فأبرز لهم
 وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من الدك، وحضر أيضًا هناك
 لاعبٌ مصريٌّ ساحرٌ، فكان لعبه حسنًا، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

وتجني الهوى ناظرًا ناظرًا
 أقام لنا هاميًا هامرا
 منيرًا كنسور الضحى باهرا
 لحظنا محيا العُلا سافرا
 فما زال كوكبها زاهرا
 وأحضرتنا لأعبًا ساحرا
 دقاتُ تشني الحجا حائرا
 خواطرٌ دهمت الخاطر

كذا فلتلح قمرًا زاهرًا
 وسيبك سيب ندى مغدق
 ويان ليومك ذا رونق
 صباح اصطبحننا بإسفاره
 وأطلعت فيه نجوم الكئوس
 وأسَمعتنا لاحقًا فاتنًا
 وثناه ثانٍ لأعباه
 وفي سورة الراج من سحره

(١) نفع الطيب (٢/٨١٦).

إذا ورد اللحظ أثناءها
ومن حسن دهرك إبداعه
وسعدك يجتلب المغريات
فما الوهم عن وردها صادرا
فما انفك عارضها ما طرا
فيجعل غائبها حاضرا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان:

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر ابن أبي شمر الغساني، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال:

إني قد وجهت إلى الملك جاريةً معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء
قمرًا، وطفاء كحلأ، دعجاء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجاء، أسيلة الخد،
شهوة المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة
الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة
الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميسة الخصر، غرثى الوشاح، رداح
الإقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة
الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال
الضحى، بضة المتجرد، وهي سموع للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، دقيقة
الأنف، عزيزة النفس، لم تُغذ في بؤس، رزينة حليمة، ركيئة، كريمة الخال،
تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد
أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل

(١) في الأغاني (٢/٢٩).

الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت، ساكنة، تزين الولي
وتشين العدو، إن أردتها اشتتت، وإن تركتها انتتت.

فارس عربي جميل:

حكى محمد بن إسحاق^(١) قال: كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها
وأذكر أنها من أغرب الأشعار، وأميل إلى ذكر أيام العرب، وأحب أن أسمعها
وأجمعها، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني ثعلبة، فذهبت إليهم لأسمع
من أشعارهم وأجمع من أخبارهم، فمررت بفناء خيمة، وإذا غلامٌ ما رأيت
مثله قط حسناً وجمالاً، له ذؤابتان كأنهما السبح المنظوم، تحت ذلك وجه كالقمر
ليلة تمه، وعنده امرأة أحسن منه وأجل، وأكثر ما أسمع من كلامها: (يا بُني)،
وهو يتسم لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعب عذراء، ولا يُرد لها جواباً من
الاستحياء. فاستحسنت ما رأيت منهما، فدنوت من الحباء، فبصرت المرأة بي،
ثم قالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: لا حاجة لي إلا الذي استحسنت
منك ومن هذا الغلام. فقالت: أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره، وهو خيرٌ لك
من نظره؟ فقلت لها: هاتي لله در أبيك. فقالت لي: إني حملته تسعة أشهر، فكنا في
عيشِ ضنكٍ كدير، ورزقٍ نزرٍ حقير، حتى إذا شاء الله أن أضعه، فوضعتة -
بحمد الله - خلقاً سويّاً، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتة حتى منَّ الله علينا،
وأجزل وسهل وتفضل، بيمن وجهه وسعادة طلعتة، فسميته (مالكاً) ثم
أرضعتة حولين كاملين، فلما استتم الرضاع، نقلته من المهد بيني وبين أبيه، فنشأ
بيننا كأنه شبلٌ أسيد، نقيه برد الشتاء وحر الصيف، فلما مر عليه خمسة أعوام،

(١) في العزيز المحلي ص ٧٦٢.

دفعته إلى مؤدبٍ يعلمه القرآن، فقرأه وتلاه، ونظم الشعر ورواه، حتى أتم سبع عشرة سنة، فأركبته عتاق الخيل فتفرس، وحمل السلاح فتشرس، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ، وأنا خائفةٌ عليه وجلَّةٌ مُشفقةٌ من الألسنة أن تشينه، ومن الألحاظ أن تعينه، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجديت بلادنا، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا، ونزلنا في غير منازلنا، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم، وخلفه عن الركوب معهم وجعٌ أصابه، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو، ولم يتولنا عقلٌ، ولا هدونا، فما كان إلا هنيهةٌ حتى حازوا على الأموال، وانهمز الرجال، وهو في البيت يسألني عن الصوت، وأنا أكأتمه خيفةً عليه، حتى علت الأصوات، وبرزت المخبات، فلما سمع ذلك ثار كما يثور الليث المنضب، وأسرج فرسه، ثم أفرغ عليه لأمة حربه، وتقلد سيفه، واعتلق رمح، ثم لحق العدو، فظعن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً، فرجعوا إليه، فأروه ولدًا لطيفاً، صبيًا ظريفًا، فعطفوا عليه.. وتلقاهم ضربًا بالسيف، وطعنًا بالرمح، حتى هلك أكثرهم وفر الباقون!

غنيه شحاذه:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه	ما سح وابل دمعته ورذاذه
ما زال جيش الحب يغزو قلبه	حتى وهى وتقطعت أفلاذه
لم يبق فيه من الغرام بقيةٌ	إلا رسيسٌ يحتويه جذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن	أبدًا من الحدق المراض عياده
لا تتحدعك بالفتور فإنه	نظرٌ يضر بقلبك استلذاذه
يأبها الرشأ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حب القلوب نفاذه

خمرٌ يجول عليه من نباذه
 ولسان ذاك اللحظ ما فولاذه؟
 أخشى بأن ينفو عليه لاذه
 وهو الإمام فمن ترى أستاذه
 إلا وعز على الورى استنقاده
 طوعاً وقد أودى بها استحواذه
 جهدي فدام نفوره ولواده
 كذليله وغنيه: شحاذه

درّ يلوح بفيك من نظامه
 وقناة ذاك القد كيف تقومت؟
 رفقاً بجسمك لا يذوب فإنني
 هاروت يعجزُ من مواقع سحره
 تالله ما علقت محاسنك امرأ
 أغريت جبك بالقلوب فأذعنت
 مالي أتيت اللحظ من أبوابه
 إياك من طمع المنى فعزيزه